(قال لا يأتيكما طعام ترزقنه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون با وهم بالآخرة هم كافرون [37] واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك با من شيء ذلك من فضل ا علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون [38]) جملة (قال لا يأتيكما) جواب عن كلامهما ففصلت على أسلوب حكاية جمل التحاور .

أراد بهذا الجواب أن يفترض إقبالهما عليه وملازمة الحديث معه إذ هما يترقبان تعبيره الرؤيا فيدمج في ذلك دعوتهما إلى الإيمان الصحيح مع الوعد بأنه يعبر لهما رؤياهما غير بعيد وجعل لذلك وقتا معلوما لهم وهو وقت إحضار طعام المساجين إذ ليس لهم في السجن حوادث يوقتون بها ولأن انطباق الأبواب وإحاطة الجدران يحول بينهم وبين رؤية الشمس فليس لهم إلا حوادث أحوالهم من طعام أو نوم أو هبوب منه .

ويظهر أن أمد إتيان الطعام حينئذ لم يكن بعيدا كما دل عليه قوله (قبل أن يأتيكما) من تعجيله لهما تأويل رؤياهما وأنه لا يتريث في ذلك .

ووصف الطعام بجملة (ترزقانه) تصريح بالضبط بأنه طعام معلوم الوقت لا ترقب طعام يهدى لهما بحيث لا ينضبط حصوله .

وحقيقة الرزق : ما به النفع ويطلق على الطعام كقوله (وجد عندها رزقا) أي طعاما وقوله في سورة الأعراف (أو مما رزقكم ا) وقوله (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) . ويطلق على الإنفاق المتعارف كقوله (وارزقوهم فيها واكسوهم) . ومن هنا يطلق على العطاء الموقت يقال : كان بنو فلان من مرتزقة الجند ورزق الجند كذا كل يوم .

وضمير (بتأويله) عائد إلى ما عاد إليه ضمير (بتأويله) الأول وهو المرئي أو المنام . ولا ينبغي أن يعود إلى طعام إذ لا يحسن إطلاق التأويل عن الأنباء بأسماء أصناف الطعام خلافا لما سلكه جمهور المفسرين .

الغرض تناسب متعددة أحوال من استثناء (بتأويله نبأتكما إلا) قوله في والاستثناء A E وهي حال الإنباء بتأويل الرؤيا وحال عدمه أي لا يأتي الطعام المعتاد إلا في حال أني قد نبأتكما بتأويل رؤياكما أي لا في حال عدمه . فالقصر المستفاد من الاستثناء إضافي .

وجردت جملة الحال من الواو (وقد) مع أنها ماضية اكتفاء بربط الاستثناء كقوله تعالى (ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم) .

وجملة (ذلكما مما علمني ربي) استئناف بياني لأن وعده بتأويل الرؤيا في وقت قريب يثير

عجب السائلين عن قوة علمه وعن الطريقة التي حصل بها هذا العلم فيجيب بأن ذلك مما علمه ا تخلصا إلى دعوتهما للإيمان بإله واحد . وكان القبط مشركين يدينون بتعدد الآلهة .

وقوله (مما علمني ربي) إيذان بأنه علمه علوما أخرى وهي علوم الشريعة والحكمة والاقتصاد والأمانة كما قال (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) .

وزاد في الاستئناف البياني جملة (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون با) لأن الإخبار بأن ا علمه التأويل وعلوما أخرى مما يثير السؤال عن وسيلة حصول هذا العلم فأخبر بأن سبب عناية ا به أنه انفرد في ذلك المكان بتوحيد ا وترك مله أهل المدينة فأراد ا اختياره لهديهم ويجوز كون الجملة تعليلا .

والملة : الدين تقدم في قوله (دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا) في سورة الأنعام .

وأراد بالقوم الذين لا يؤمنون با ما يشمل الكنعانيين الذين نشأ فيهم والقبط الذين شب بينهم كما يدل عليه قوله (ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها) أو أراد الكنعانيين خاصة وهم الذين نشأ فيهم تعريضا بالقبط الذين ماثلوهم في الإشراك . وأراد بهذا أن لا يواجههم بالتشنيع استنزالا لطائر نفورهم من موعظته .

وزيادة ضمير الفصل في قوله (هم كافرون) أراد به تخصيص قوم منهم بذلك وهم الكنعانيون لأنهم كانوا ينكرون البعث مثل كفار العرب . وأراد بذلك إخراج القبط لأن القبط وإن كانوا مشركين فقد كانوا يثبتون بعث الأرواح والجزاء .

والترك : عدم الأخذ للشيء مع إمكانه . أشار به إلى أنه لم يتبع ملة القبط مع حلوله بينهم وكون مولاه متدينا بها